في صُحْبَةِ القُرآن

ذكر العلماء طائفة من الآداب المتعلقة بتلاوة القرآن الكريم ، وحفظه ، والتخلّق بأخلاقه ، يمكن اختصارها بما يلي :

أ ـ آداب تلاوة القرآن الكريم :

١ـ يستحب الإكثار من تلاوة القرآن : دليل ذلك قوله تعالى في معرض الثناء على المكثرين من تلاوته : ﴿يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران : ١١٣] ، وقوله صلوات الله عليه : « **لا حسَدَ إلا في اثنتين** : ـ ومنها ـ **رجلٌ آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار** »[١] .

٢ـ ويستحب الوضوء لقراءة القرآن : لأنه أفضل الأذكار ، وقد كان رسول الله ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهرٍ[٢] .

---

(١) صحيح البخاري (٧٣) ، وصحيح مسلم (٨١٥) .

(٢) سنن أبي داود (١٨) .

٣ـ يُسنُّ التعوذ قبل قراءة القرآن : دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] .

٤ـ ويسنّ أن يستاك تعظيماً وتطهيراً : دليل ذلك قوله ﷺ : « **إن أفواهكم طرق للقرآن ، فطيّبوها بالسّواك** »[١] .

٥ـ ويسنّ الترتيل في قراءة القرآن ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] .

٦ـ وتسن القراءة بالتدبّر والفهم : دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال حذيفة رضي الله عنه : صلّيت مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ ، فافتتح البقرة فقرأها ، ثم النساء فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مرّ بآيةٍ فيها تسبيح سبّح ، وإذا مرّ بسؤالٍ سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ[٢] .

٧ـ ويستحب البكاء عند قراءة القرآن ، والتباكي لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع ، دليل ذلك قوله ﷺ :

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (١/٣٨) .
(٢) صحيح مسلم (٧٧٢) .

« إن هذا القرآن نزل بحزن وكآبةٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا »[1] .

٨ ـ ويسنّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ، دليل ذلك قوله صلوات الله عليه : « زيّنوا القرآن بأصواتكم »[2] .

٩ ـ ويستحب القراءة في المصحف : لأنها أفضل من القراءة من حفظه ، خاصةً أن النظر في القرآن عبادة .

١٠ـ ويكره قطع القراءة لمكالمة أحدٍ : لأن كلام الله لا ينبغي أن يُؤثر عليه كلام غيره .

ويكره أيضاً الضحك والعبث والنظر إلى ما يُلهي .

١١ـ والأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف ، وذلك لأن ترتيبه لحكمةٍ ، فلا يتركها إلا بوجود نص .

١٢ـ يسنّ الاستماع لقراءة القرآن، وترك اللغط والحديث، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

---

(١) سنن ابن ماجه (١٣٣٧) .

(٢) سنن النسائي (٢/ ١٨٠) .

١٣ـ ويسن السجود عند قراءة آيةٍ فيها سجدة : وهي أربع عشرة سجدة .

١٤ـ ويسن الدعاء عقب ختم القرآن : دليل ذلك قوله صلوات الله عليه : « **من ختم القرآن فله دعوة مستجابة** »[١] .

١٥ـ ويسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم : دليل ذلك قول المعصوم ﷺ : « **أحب الأعمال إلى الله الحالُّ المرتحل ، الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل** »[٢] .

١٦ـ ويسنّ قراءة ما تيسر من القرآن ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [المزمل : ٢٠] .

١٧ـ ويستحب الاستماع إلى القرآن : لأن في ذلك إشراقٌ للأنوار ، مصداق ذلك قوله ﷺ : « **من استمع إلى آيةٍ من كتاب الله تعالى كُتب له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة** »[٣] .

---

(١) ضعيف الجامع الصغير (٤/ ٥٧) .
(٢) سنن الترمذي (٥٩٤٨) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٩٢٨٩) .

ب ـ مكروهات تلاوة القرآن :

١ـ لا يجوز قراءة القرآن منكوساً : أي قراءة السورة من آخرها إلى أولها .

ومثله أن يبدأ من آخر القرآن من المعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة ، إلا إذا كان يقوم بتعليم الصبيان والأعاجم ، مصداق ذلك أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال : يا أبا عبد الرحمن، أرأيت رجلاً يقرأ القرآن منكوساً؟ . .

قال : ذاك منكوس القلب! .

٢ـ تُكره قراءة القرآن في حالة الركوع والسجود والتشهد ، وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام .

٣ـ وتُكره القراءة لمن أكل ثوماً أو بصلاً ونحوه .

٤ـ ولا تجوز قراءة القرآن بغير العربية ، سواء في الصلاة أم بخارجها .

٥ـ وتُكره القراءة حالة النعاس الشديد ، دليل ذلك قوله ﷺ : « **إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه ، فلم يدر ما يقول ، فليضطجع** »[١] .

---

(١) صحيح مسلم (٧٨٧) .

ج ـ إكرام أهل القرآن الكريم :

١ـ فضل من تعلم القرآن وعلمه : دليل ذلك قول الرسول ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه »[١] .

٢ـ فضل حملة القرآن : دليل ذلك قول المعصوم صلوات الله عليه : « تعلموا هذا القرآن واتلوه ، فإنكم تؤجرون على تلاوته بكل حرفٍ عشر حسنات ، أما إني لا أقول : ﴿الم﴾ عشر ، ولكن الألف عشر ، واللام عشر ، والميم عشر ، وإن هذا القرآن هو النور المبين ، والشفاء النافع ، ونجاة من اتبعه ، وعصمة من تمسك به، لا يعْوج فيقوّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد »[٢] .

٣ـ فضل الاجتماع في بيوت الله لمدارسة القرآن : دليل ذلك قوله صلوات الله عليه : « ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله عز وجل ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧) .

(٢) مستدرك الحاكم (١/ ٥٥٥) .

الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[1] .

٤ ـ إكرام أهل القرآن : من حيث إن في ذلك تعظيماً لشعائر الله ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : « **إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط** »[2] .

٥ ـ وعدم الخوض في الحديث عن حملة القرآن ، والابتعاد عن إيذائهم ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : « **إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** »[3] .

٦ ـ التمثل بما وعد الله حملة القرآن في الآخرة : دليل ذلك قول المعصوم ﷺ : « **من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، أُلبس والديه تاجاً يوم القيامة ، ضوءُهُ أحسنُ من ضوء الشمس**

---

(١) سنن أبي داود (١٤٥٥) .
(٢) سنن أبي داود (٤٨٤٣) .
(٣) صحيح البخاري (٦١٣٧) .

في بيوت الدنيا ، لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا ؟! »[1] .

د ـ من أخلاقيات أهل القرآن :

١ـ على من أكرمه الله تعالى بحمل القرآن أن يتخلّق بأخلاق القرآن الكريم : ولذلك عندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ؟ قالت : كان خُلقه القرآن[2] .

٢ـ أن يكون قلبه مليئاً بتقوىٰ الله سبحانه ، وذلك من خلال الورع في الملبس والمأكل والمشرب ونحو ذلك .

٣ـ وأن يكون مهتمّاً بإصلاح ما فسد من أهل زمانه ، وذلك عن طريق القدوة قبل الكلام .

٤ ـ وأن لا يغفل عما فرض عليه ، وما عهد إليه ، وأن لا يُضيّع ما أكرمه الله به ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر : ١٩] .

٥ ـ وأن لا يُتاجر بما حفظ من كتاب الله : ولا يتزلّف لغنيٍّ

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٤٤٠) .

(٢) صحيح مسلم (٤٧٦) .

ولا لصاحب جاهٍ ، إنما أن يربط عزّته بعزة الله سبحانه ، وقد حذّر الرسول ﷺ من ذلك فقال : « **من قرأ القرآن فليسأل الله به ، فإنه سيأتي قومٌ يقرؤون القرآن يسألون به الناس** »[1] .

٦ ـ وعلى حامل القرآن أن يعلّم الناس بالرفق ، بعيداً عن المفاضلة بين الأغنياء والفقراء ، وبين السّادة والعبيد ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

٧ ـ وعلى حامل القرآن أن يكون حاله كما قال عمر رضي الله عنه : تعلّموا العلم ، وتعلّموا للعلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن تعلّمون ، وليتواضع لكم من تعلّمون ، ولا تكونوا جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم[2] .

٨ ـ وعلى حامل القرآن أن لا يهتم فقط بمخارج

---

(١) سنن الترمذي (٢٩١٧) .

(٢) الزهد ، للإمام ابن حنبل (١٢١) .

الحروف ، ونحو ذلك من شكليات ، إنما عليه أن يهتم ـ مع التجويد والتلاوة ـ بروح القرآن وجوهره ، ورحم الله الحسن عندما قال : قُراء القرآن ثلاثة رجال :

أ ـ فرجل قرأه فاتخذه بضاعةً : ونقله من بلدٍ إلى بلد .

ب ـ ورجل قرأه فأقام على حروفه وضيّع حدوده ، يقول : إني والله لا أُسقط من القرآن حرفاً . كثّر الله بهم القبور وأخلا منهم الدور ، فوالله لهم أشد كبراً من صاحب السرير على سريره ، ومن صاحب المنبر على منبره .

جـ ـ ورجل قرأه فأسهر ليله وأظمأ نهاره ومنع شهوته . . فجثوا في براثنهم ، وركدوا في محاريبهم ، ينفي الله بهم عنا العدو ، وبهم يسقينا الله الغيث ، وهذا الضرب من القرّاء أعزّ من الكبريت الأحمر ! .

* * *